

المنهج الكيفي في المعرفة السوسولوجية الفهم والتأويل بين الفلسفة وعلم الاجتماع

أ.د. بن عيسى محمد المهدي

د. بغدادي خيرة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

مخبر ' تحول التشكلات الاجتماعية وأثره على الهوية و الفعل

في المجتمعات في طريق النمو

الملخص :

شكلت المسائل الابستمولوجية و المنهجية جدلا و نقاشات كبيرة لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية عموما و في السوسولوجيا على الخصوص و القضية المطروحة في اعتقادنا في علم الاجتماع هو كيف ننتج معرفة تتصف بالعلمية ؟ و هذا يقودنا إلى اشكال آخر حول موضوع و منهجية الدراسة و المقصود من موضوع الدراسة هو تحديد وحدة التحليل الذي يشتغل عليها الباحث من اجل استخراج معرفة منها

أما منهجية الدراسة فهي الطرق و الأدوات المستعملة من اجل انتاج معرفة يمكن وصفها بأنها علمية ، فإذا كانت المقاربات السوسولوجية الكلاسيكية تعتقد بان العلمية موجودة في تبني مناهج العلوم الطبيعية و أن هذا فرض عليها الاعتقاد بافتراض وهمي يتمثل في اعتبار موضوع الدراسة هو شئ ، حتى تستطيع تطبيق منهجية العلوم الطبيعية ، إلا أن المقاربات المعاصرة أثبتت عكس ذلك تماما ، بحيث أنها ترى بان موضوع الدراسة ليس شئ خارجي بل هو موجود في داخل الموضوع المدروس أي الإنسان الذي هو موضوع دراستها ، مما يتطلب منهجية أخرى تتطابق مع موضوع الدراسة وفق هذا المنظور و هذا ما أردنا أن نعالجه من خلال هذا المقال الأول المعنون " المنهج الكيفي في المعرفة السوسولوجية الفهم والتأويل بين الفلسفة و علم الاجتماع .

الكلمات المفتاحية : المعرفة العلمية ، الاجتماعي و السوسولوجي ، المنهجية العلمية ، الفهم و التأويل ، المنهج الكيفي

Résumé

Les questions épistémologiques et méthodologiques en sciences sociales en général et en sociologie en particulier ; ont suscité toujours des interrogations en ce qui concerne son objet et sa méthode de recherche , et ce pour pouvoir qualifier son savoir autant que connaissance scientifique la sociologie classique positiviste croit sa scientificité dans l'utilisation pur et simple des méthodes et outils des sciences de la nature en traitant les phénomènes sociaux comment des choses indépendants de l'identité de l'être humain ; néanmoins les approches contemporaines prouvent le contraire , considèrent objet de l'étude sociologique réside dans l'identité de l'être humain la raison pour laquelle ca nécessite une méthodologie et outils autre que celle pratiqués par les sciences de la nature et la sociologie classique , ce que nous voulions aborder dans cette première partie de cet article intitulé « la méthode qualitative dans la connaissance sociologique ; la compréhension et l'interprétation entre la philosophie et la sociologie »

Mots clés : Connaissance scientifique ; social et sociologique; méthodologie scientifique; compréhension et interprétation ; Méthode qualitative

* لفهم هذه المقاربة التي نشتغل عليها في مخبر "تحول التشكلات الاجتماعية و تأثيره على الهوية و الفعل" ارجع إلى الجزء الثاني من المقال والأعمال العلمية الموجودة في المواقع الرقمية .

مقدمة :

إن البحث العلمي هو عملية بناء شاملة ومتكاملة الجوانب ، لا يمكن أن تتطور و تبرز إلا من خلال تنمية وتطوير قدرات الباحث النظرية والمنهجية في مجال تكوينه وتخصصه العلمي ، حتى يستطيع أن يستشکل الواقع ويفتك منه موضوع دراسته انطلاقاً من محور علمي وبحثي محدد وفق مقارنة علمية واضحة المعالم ، ومنهجية دقيقة ومطابقة ، لأن موضوع الدراسة في العلوم الإنسانية واحد وهو الإنسان والمجتمع و لكن كل تخصص علمي من هذه التخصصات العلمية يستشکل هذا الواقع ويفتك موضوعه الدراسي البحثي منه وفق أدواته ومقارباته العلمية والمنهجية الخاصة حتى تتشکل لدينا صورة واضحة ودقيقة دقة الأدوات والمقاربات والمناهج المستعملة من طرف هذه التخصصات العلمية كل واحدة منها على حدى إذن الإشكالية لا تكمن في موضوع الدراسة المشترك بين مختلف هذه التخصصات العلمية لكن الإشكالية تكمن في كيفية بناء معرفة علمية عن موضوع دراسة مشترك لتخصصات علمية ليست متطابقة لكن متكاملة وذلك بخلفية ومقاربات و أدوات منهجية لكل واحدة منها .

هذا لا يعني أن الباحث عليه أن يكون في قطيعة تامة مع المنتج المعرفي لتخصص مغاير لتخصصه بل لا بد أن يكون مطلع عليها حتى يستطيع أن يبني معرفة علمية في مجال تخصصه على أنقاض الحدود الاستمولوجية للتخصصات الأخرى ، فالباحث عليه أولاً وقبل كل شيء أن يحدد نقاط التماس ونقاط بين مختلف العلوم بوعي علمي، ونقطة التماس ليست هي نقطة الانفصال مع العلم الآخر وإنما هي نقطة التماس مع الآخر أي النقطة التي ينتهي إليها تخصص علمي معين ويبدأ تخصص علمي آخر وإذا كانت هذه النقطة غير واضحة لدى الباحث فإنه قطعاً سيذوب ويغترب دون وعي منه في تخصص معرفي آخر، وقطعاً أن هذه المعرفة المنتجة بهذه الطريقة ليست معرفة علمية ، لأن المعرفة العلمية تتطلب الوعي التام بالموضوع و المنهج .

هذا فيما يخص العلاقة بين تخصصات العلوم الاجتماعية فيما بينها من جهة وعلاقتها بموضوع الدراسة من جهة ثانية .

1.1 عوامل علمية المعرفة : لا يعتبر كل من منتج معرفي مهما كان مصدره على أنه معرفة علمية، فالمعرفة المصنفة على أنها علمية تحكمها ضوابط وقواعد ومعايير يضعها من يوصفون بأهل والاختصاص، وعليه إن أول ترتيب اجتماعي للمعرفة، كان بين المعرفة البسيطة وليدة خبرة والتجربة الذاتية الشخصية وتكون عادة هذه المعرفة غير مقصودة ووليدة المحاولة والخطأ فهي معرفة متدنية، و أما المعرفة العلمية فهي التي تنتجها ذات عارفة وتحركها أهداف محددة وتستعمل في عملية انتاجها طرق ومناهج مختارة بعناية و عقلنة و معترف بها من طرف المجتمع العلمي لتخصص ما، فغاستون باشلار 2003; G.Bachelard ; Guylain Mabiala Nlenzo يقول: "بالنسبة للفكر العلمي، كل معرفة هي إجابة عن سؤال لا يمكن أن تكون معرفة علمية ، لا شيء يأتي بالصدفة ولا شيء معطى كل شيء مبني والبناء يقصد به هنا أن كل عملية فكرية علمية لا بد أن تنطلق من أهداف دقيقة ومعدة مسبقاً ومن أجل تحقيقها والوصول إليها لا بد أن نختار لها الطرق والمناهج والأدوات التقنية المناسبة لها أي لا بد أن تكون هي كذلك موصوفة بالعلمية أي ما يطلق عليه بالمنهج العلمي، فالمنهج العلمي ليس مجرد إجراءات تنفيذية فحسب، كما يتبادر لبعض المبتدئين بل هي ضوابط فكرية بالأساس هذه الضوابط تحكمها قوالب نظرية لنظرية معينة، فهذه القوالب النظرية التي توطر هذه الضوابط المنهجية هي نقطة التماس والنقاط بين ما هو نظري وما هو منهجي، وعليه فإن لكل تصور نظري ضوابته المنهجية التي لا بد على الباحث أن يلتزم بها و إلا يصبح منتج الفكر العلمي أو لا يتصف البتة بالعلمية .

2.1 علوم الطبيعة وعلوم الإنسان : كان التصنيف التالي للمعرفة بعد التصنيف الأول الذي كان بين المعرفة العلمية والمعرفة العلمية كما رأينا هو تصنيف داخل المعرفة العلمية ذاتها أي بين علوم الطبيعة وعلوم الإنسان وهو تصنيف

يقوم على أساس طبيعة موضوع الدراسة بمعنى هل موضوع الدراسة يتعلق بالطبيعة بصفاتها شيء مادي وخارجي ، ذاتية الانسان، وتأتي المعرفة العلمية هنا كأداة بيد الإنسان لاكتشاف أسرار هذه الطبيعة من أجل إخضاعها له والسيطرة عليها، أم أن موضوع الدراسة يتمثل بذاتية الإنسان نفسه لاكتشاف أسرار ومعتقداته الاجتماعية والنفسية والتاريخية التي تحول دون قدرته واستطاعته، وهنا يتعدّد الموضوع لأن الذات العارفة أو العالمة تصبح هي نفسها موضوع الدراسة من طرف ذاتها وهذا عكس العلوم الطبيعية أن الذات العارفة وموضوع الدراسة من جنسين مختلفين الأول ذات والثاني موضوع .

ومن أول هذه العوائق الطبيعية هو المنظور الذي ينظر به الفرد لهذه المعرفة العلمية (علوم الطبيعة) وتلك (علوم الإنسان)، فكثير من الأفراد والمجتمعات تولي أهمية خاصة ونوعية للعلوم الطبيعية على حساب علوم الإنسان بدافع المنفعة والنفعية كون أن العلوم الطبيعية تمكن هؤلاء الأفراد والمجتمعات من كشف أسرار الطبيعة والسيطرة عليها لتحقيق أغراض خاصة بهم تلي حاجاتهم ومصالحهم .

يعتقد البعض أن هذا الترتيب القائم على أساس المنفعة المباشرة أنه ترتيب موضوعي لكن في حقيقة الأمر هو ترتيب ذاتي مرتبط بثقافة مجموعة بشرية ما، وينظر لها لذاتها وفهمها لمشاكلها وللطرق و الأدوات التي يمكن أن تعالج بها هذه المشاكل، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا المجتمع أو مجموعة بشرية ما تصنف وترتب العلوم التي موضوعها الطبيعة تصنيفا أحسن من ترتيب العلوم التي تعنى بدراسة الإنسان ؟ هل ذلك يعود لكون دراسة الطبيعة كموضوع تحقق فائدة لهم وهذا ما يؤدي إلى عامل التصنيف الذي رأيناه سابقا أو لان دراسة الطبيعة كموضوع أسهل من دراسة الإنسان كموضوع، أو لان الإنسان غير قابل للدراسة وهذا يعني أن هذا الإنسان لا تحكمه أسرار وخبايا يجب اكتشافها ومعرفتها وكل شيء لديه واضح وبديهي وليس بحاجة إلى دراسة أو أن العكس أي أن الإنسان تحكمه أسرار وخبايا اعقد وأصعب من أسرار الطبيعة ذاتها وهذا ما يتطلب أدوات وطرق ومناهج أصعب لإنتاج معرفة علمية خاصة بهذا الموضوع ويتطلب كذلك ضوابط منهجية وفكرية نوعية ودقيقة تتعلق بكل من الدارس والمدرّس أي الذات والموضوع لأنهما من نفس الجنس كما رأينا .

3.1 دراسة الإنسان من الاجتماعي إلى السوسولوجي : كما بينا أعلاه أن الإنسان هو موضوع دراسة لمجموعة من التخصصات العلمية المتكاملة لكن لكل واحدة منها منظوره الخاص ومنهجيته و أدواته الخاصة به ، لكن الذي يهمنا هنا هو المعرفة السوسولوجية، التي تكمن اشكاليته في كيفية الانتقال من الاجتماعي إلى السوسولوجي أي ما هي الطرق و المناهج و الأدوات التي يستعملها الباحث في علم الاجتماع من اجل إنتاج معرفة علمية عن المجال الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية والإشكالية الاجتماعية المدروس أو المراد دراستها وهنا تطرح إشكالية أخرى أعمق و أدق وهي منهجية وطرق و أدوات أي مقارنة سوسولوجية ؟ لان الأمر قد يكون سهلا وهينا لو كانت هنالك منهجية وطريقة نمطية يستعملها الباحث السوسولوجي في إنتاج معرفة علمية عن واقع اجتماعي معين ، لكن تعدد المناهج والطرق و الأدوات بتعدد المقاربات السوسولوجية وتنامي درجة تطورها في المجال الزمني من اجل استقراء الواقع الاجتماعي وفهمه وتحليله وإنتاج معرفة علمية عنه أمام عاملين متلازمين ومتغيرين بنفس درجة تغير هذا الواقع نفسه . في العلوم الاجتماعية بصفة عامة و في علم الاجتماع بصفة خاصة .

بينت ممارساتنا العلمية أن المناهج الكمية يمكنها أن تقدم أرقام و إحصائيات للبرهنة على وجود علاقة سببية بين المتغيرات لكن في الحقيقة أن هذه المناهج الكمية تبقى غير قادرة و عاجزة عن :

- 1- كشف المعاني و الحقائق التي تتضمنها الأفعال الاجتماعية و التفاعلات بشتى أنواعها التي أنتجت الظاهرة المدروسة.
- 2- تحديد طبيعة العلاقة التي تربط بين الذات العارفة و موضوع المعرفة من جهة أو بين المبحثين بصفتهم موضوع للدراسة السوسولوجية والموضوعات المرتبطة بهم من جهة ثانية ،سواء في مجالهم العمراني أو مجالهم الاجتماعي.

ومن هذا المنطلق تبقى الأرقام و الإحصائيات التي يقدمها الباحث في علم الاجتماع للبرهنة والتدليل على العلاقة السببية بين السبب و النتيجة مجرد تبرير لاقتراحه الافتراضي النابع من وحي خياله الذاتي و ليست الحقيقة المستخرجة من ذاتية المبحثين ، لأن المبحثين هم المعنيون بالظاهرة وليس الباحث و بالتالي علينا أن نتساءل كيف يمكن للباحث أن يستخرج الحقيقة من ذاته هو وليس من ذاتية المبحثين بصفتهم موضوع للدراسة؟.

وعليه يبقى المنهج الكيفي في اعتقادنا هو المنهج القادر على الغوص في ذاتية المبحثين للوصول إلى الحقيقة التي تربطهم بالظاهرة قبل أن نتطرق إلى الفهم كمنهج خاص بالعلوم الاجتماعية بصفة عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة علينا أن نتطرق إلى القطيعة التي عرفتها العلوم الاجتماعية مع مناهج العلوم الطبيعية.

4.1 العلوم الاجتماعية و علوم الطبيعة بداية القطيعة : كانت بداية القطيعة بين العلوم الاجتماعية و منهجية العلوم الطبيعية عند الفلاسفة الألمان وبالخصوص عند الأب الروحي للفلسفة الألمانية **Dilthey** ، فهذا الأخير كان أول من فرق بين علوم الطبيعة و علوم الإنسان و أكد على خصوصية العلوم الإنسانية بالنسبة لعلوم الطبيعة سواء من حيث الموضوع ، لأن الأولى موضوعها الإنسان و الثانية موضوعها الطبيعة وكذلك من حيث المنهج، فحسبه أن المنهج الكيفي الذي يتمثل في الفهم التأويلي أو ما يطلق عليه بلفظ الهرمنيوطيقا هو المنهج الخاص و المناسب للعلوم الاجتماعية و ذلك لكون موضوع المعرفة كما قلنا في العلوم الإنسانية و الاجتماعية موجود في ذاتية الإنسان و حتى تصل إليها الذات العارفة عليها أن تستخدم منهجية تمكنها من الولوج إلى عمق هذا الإنسان من أجل فهم بنيته الداخلية و إعادة تشكيل خبراته الذاتية سواء علاقاته بالعالم الطبيعي أو العالم الاجتماعي .

فالنسبة **Dilthey**. الفهم التأويلي" هو العملية التي نتعرف من خلالها على الصورة الداخلية من خلال العلاقات التي تأتي إلى الخارج عبر الأحاسيس" (احمد زايد ، 1991 ، ص 241)

رغم الفقرة النوعية التي قام بها هذا الأخير بالنسبة للعلوم الاجتماعية و الإنسانية و المتمثلة في الخصوصية التي أعطاها لمنهجيتها و فصلها نهائيا عن منهجية العلوم الطبيعية ، إلا أن اسهاماته تبقى أولية و وذلك :

- لكون أنه يرى أن العلوم الإنسانية و الاجتماعية بفروعها و تخصصاتها هي علم واحد يكمن موضوعها في دراسة الإنسان و بالتالي أطلق عليها علم الإنسان .

- كون أن علم الإنسان هو علم واحد و بالتالي تحكمه منهجية واحدة و المتمثلة كما قلنا في الفهم التأويلي القائم على التقمص الوجداني الذي هو العملية التي من خلالها يستوعب الباحث أو الدارس البنية النفسية للمبحث من خلال الإشارات التي تشكل المادة الحسية وهي منهجية علم النفس التحليلي التي يطلق عليها بالإستبطان و بالتالي جعل من الفهم حالة انطباعية للباحث عن المبحث أو عن الموضوع .

بما أن هذا الفهم عنده مجرد حالة انطباعية بين الذات و الموضوع بقي الفهم عنده ليس له هدف و غرض منشود واضح و بقي الفهم هو الهدف في حد ذاته .

أما **Gadamer** فقد انطلق في تحليله لموضوع الفهم من النقطة التي انتهى إليها **Dilthey** و انتقده في كون انه اعتبر الفهم مجرد حالة استبطانية نفسية بين الذات الفاهمة و الموضوع و ليس له هدف واضح ، بل العكس أن **Gadamer** يرى أن الفهم في العلوم الإنسانية و الاجتماعية يتطلب شيئين رئيسيين هما : الوعي و الهدف ، الوعي يعني أن الفهم ليس عملية نفسية بسيطة تندمج فيها الذات بالموضوع ، فيصبح الفهم مجرد المعنى الذي تعطيه الذات للموضوع و بذلك تذوب فيه مع الموضوع ، فالفهم عملية معقدة و مركبة ، معقدة تتطلب من الذات أن تفصل كلية و يوعي عن الموضوع بحيث عليها أن تعي أن المعنى الذي تريد الوصول إليه هو المعاني التي يحملها الموضوع و ليس معانيها هي (الذات) عن الموضوع أما إذا كان موضوع الفهم نصا على الذات أن تفصل كذلك بين هذا النص و مؤلفه للوصول إلى المعاني التي يحملها كاتب النص ذاته و ليس ما تفهمه الذات الفاهمة من النص المكتوب فقط، أما

كون أن عملية الفهم مركبة هذا يعني أن الفهم له هدف كما قلنا وبالتالي يتضمن عدة مراحل و خاصة مرحلتي الفهم أولاً ثم التأويل ثانياً و التفسير ثالثاً.

إن **Gadamer** غدامير أعطى للفهم معنى أعمق وأدق بحيث يجعله مسافة بين الذات الفاهمة بكل مضامينها الاجتماعية و الثقافية وبين الموضوع، جعل من الفهم عملية موضوعية من نوع خاص وهي موضوعية العلوم الاجتماعية و الإنسانية و هذه المسافة التي تفصل بين الذات والموضوع يتوسطها الوعي و بالإضافة إلى الوعي جعل الفهم يقوم على محددات ترتكز عليها الذات الفاهمة في فهمها لموضوعها وأن هذه العملية لا تقتصر على الفهم لمجرد الفهم بل تهدف إلى الوصول إلى التأويل و بهذا اجتمع الفهم و التأويل و والتفسير في المنهجية الكيفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية و خاصة عندما انتقل بالفهم من اقتصاره على فهم النصوص المكتوبة إلى فهم المعاني التي يحملها الأفراد من خلال أفعالهم الاجتماعية في حياتهم اليومية.

فحسب احمد زايد ، أن الفلاسفة و خاصة كل من **Dilthey**. ديلتي و هيدجر **Heidegger** و **Gadamer** غدامير وغيرهم استطاعوا أن يجعلوا من الفهم التأويلي المنهجية الخاصة بالعلوم الاجتماعية عوض المنهجية التفسيرية التي استعارتها هذه العلوم من العلوم الطبيعية ، إلا انه بقي لكل واحد من هؤلاء الفلاسفة نظريته الخاصة لموضوع التأويل والهدف منه، فبالنسبة **Dilthey**. ديلتي أن موضوع الفهم عنده هو الوصول إلى الخبرة المتموضعة في داخل الأفراد و المشكلة عبر التاريخ و ذلك بهدف الوصول إلى المعرفة الموضوعية، فالفهم بهذا الشكل هو الوصول إلى المعرفة الموضوعية لا غير أما **Heidegger** هيدجر، فموضوع الفهم لديه ليست الخبرة المتوضعة في داخل الفرد فحسب بل أن موضوع الفهم هو التأويل الذي يعطيه الأفراد لوجودهم في الوجود وذلك بهدف الوصول إلى العوائق التي تحول دون تمكن هؤلاء الأفراد من التعامل مع وجودهم بشكل أفضل وأجود، أما **Gadamer** تبنى طرح **Heidegger** فيما يخص أن موضوع التأويل هو فهم التأويل الذي يعطيه الأفراد لوجودهم لكن بشكل أعمق ، إلا أن اهتمامه كان منصباً ومهتماً بضوابط و قواعد المنهج التي تستعملها الذات الفاهمة في سعيها إلى الوصول إلى فهم الحقيقة الموضوعية في الموضوع كما فعل كل من ديكارت وكانط بحيث أن **Gadamer** ، يرى أن هذه القواعد المنهجية الفكرية التي وضعها كل من ديكارت وكانط أن استعمالها والالتزام بها في السعي وراء الحقيقة تؤدي في النهاية إلى نتيجة عكسية و هي كبح و تقييد الفكر و العقل على اكتشاف أو الوصول إلى الحقيقة لأنها تحاول الفهم من خلال هذه القيود التاريخية (احمد زايد ، 1991 ص 230-238)

وبالتالي فإن الذات الفاهمة لا يمكنها في هذه الحالة أن تنتج معرفة تتجاوز بها المعرفة القائمة ، من أجل تحسين وجودها" فالمنهج لا يكشف حقيقة هذا الوجود بقدر ما يخلق هوة بين الذات الفاهمة و العالم... إن الفهم التأويلي يبحث عن نوع جديد من العقل يخالف العقل التكنولوجي والميكانيكي الذي يسيطر على قدرات الحضارة . (احمد زايد ، 1991 ص 229) . بعدما تطرقنا إلى موضوع الفهم والتأويل لدى الفلاسفة ورأينا أن الفهم والتأويل لديهم يتراوح بين العمل على فهم الخبرة الوجودية لدى الأفراد إلى العمل على فهم الكيفية التي يؤول بها الأفراد وجودهم ، هذا من جهة ورأينا كذلك أن الهدف من التأويل لديهم كان يتراوح كذلك بين الفهم من أجل الفهم والفهم من أجل تأصيل الوجود بإنتاج نوع جديد من العقل من جهة ثانية .

السؤال الذي يطرح نفسه الآن ما هو مضمون الفهم والتأويل لدى علماء الاجتماع و ما هو الهدف منه ؟ فقبل الإجابة عن هذه الإشكالية لا بد من الإشارة على انه هناك توجهين في علم الاجتماع فيما يخص المقاربة المنهجية في العلوم الاجتماعية كما ذكرنا سابقاً وعليه فإن أصحاب المقاربة الكيفية يرون أن خصوصية الموضوع تتطلب خصوصية في المنهج وخصوصية هذا المنهج تكمن في قدرته على الغوص والولوج في ذاتية المبحثين لفهم القاعدة التي تنطلق منها أفعالهم لان المنهج الوضعي المستمد من الفلسفة الوضعية لا يمكن الباحث من ذلك .

اذن فالفهم والتأويل هما أساس المنهج الكيفي وكانت الانطلاقة الأولى لاعتماد المنهج الكيفي في علم الاجتماع على يد عالم الاجتماع الألماني **Max Weber** ماكس فيبر .

1- مضمون الفهم والتأويل عند Max Weber ماكس فيبر : قدمت السوسيولوجيا على يد ماكس فيبر بعد آخر اشمل وأعمق من مضمون التأويل لدى الفلاسفة بحيث نقلته من فهم و تأويل النصوص المكتوبة إلى الفهم التأويلي الذي عليه أن يشمل كذلك الأفعال الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد في سياقهم الاجتماعي وبذلك أصبح على الباحث في علم الاجتماع أن يبحث عن معنى الفعل الاجتماعي التي تختفي وراءها الأفعال الاجتماعية ، لان كل علماء الاجتماع يفرقون بين السلوك والفعل الاجتماعي (بن عيسى محمد المهدي ، 2006)

- فإذا كان السلوك موضوع للدراسات السيكولوجية فان الفعل الاجتماعي موضوع للدراسة السوسيولوجية وبالتالي ينطلقون من افتراض مؤداه أن كل فعل اجتماعي يقوم به الفرد ينطوي على معنى خاص لدى القائم به .

فعند ماكس فيبر أن موضوع الفهم هو الوصول إلى المعاني التي يعطيها الفرد للفعل الذي يقوم به بحيث يقول في هذا الصدد " أن الفهم التأويلي متاح في كل مرة لمجرى الفعل الإنساني الذي يحمل معنى "

Gonthier Frédéric Weber et la notion de « compréhension » ; 2004 ; URL : www.cairn.info/revue-cahiers-internationaux-de-sociologie-2004-1-page-35.htm. DOI : [10.3917/cis.116.0035](https://doi.org/10.3917/cis.116.0035)

- لكن ماكس فيبر كان تحت ضغط الظروف الفكرية لعصره التي كانت لا تعتقد ولا تقبل بعلمية المعرفة ، إلا إذا قامت بتفسير العلاقة السببية بين الظواهر سواء طبيعية أو اجتماعية ولهذا يبين انه لم يكتفي بالفهم التأويلي ودراساته السوسيولوجية بل عمل على البحث على العلاقة السببية بين المعنى الذاتي والظروف الطبيعية والاجتماعية التي يبني على أساسها الفرد الموقف ، فمضمون علم الاجتماع عنده هو علم تأويلي أولا ثم تفسيري ثانيا بحيث يعرف علم الاجتماع على انه " الفهم التأويلي للفعل الاجتماعي الذي يوصلنا إلى التفسير السببي ونتائجه" **Max Weber** 1971 : p28) ، بعقريّة كبيرة استطاع ماكس فيبر أن يبني منهجا كفييا قائم على خصوصية علم الإنسان و في نفس الوقت يستجيب لمطالبات المعرفة العلمية لعصره التي لا تقتضي العلمية ، إلا في إيجاد العلاقة السببية بين الظواهر وتفسيرها على ضوء ذلك وعليه فان سوسيولوجيا الفهم عنده تقوم على منهجية تتضمن ثلاث فترات نوعية وهي الفهم أي فهم المعاني التي يعطيها الفرد لأفعاله كما رأينا ثم يأتي بعد ذلك التأويل أي تأويل المعاني المفهومة من طرف الذات الفاهمة أي نقلها من معاني المعرفة واللغة العامية البسيطة إلى معاني اللغة العلمية من طرف الباحث وهنا يمكن أن تتدخل الذات الفاهمة في موضوع فهمها بدون قصد منها مما يؤثر سلبا على موضوعية المعرفة المنتجة ، ثم يأتي بعد ذلك التفسير الذي يعني الوقوف على الأسباب التي أدت إلى ظهور والقيام بالفعل أي البحث عن الدوافع الاجتماعية والموجهات الثقافية التي حكمت الفعل وبهذه العملية يقوم بتعميق عملية الفهم ففي اعتقاده أن التفسير عنده ليس تفسير سببي ظاهري خارجي كما هو الحال في المنهج الوضعي سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية هو تفسير (تفسير فهمي) وفهم تفسيري .

- فيوضعه النموذج المثالي كافتراض مسبق يتشكل من خصائص ومميزات ملاحظة في الواقع من طرف الباحث وذلك من أجل القيام بتفسير الأفعال الاجتماعية التي هي موضوع الدراسة كما فعل في التصنيفات المثالية لموجهات الفعل الأربعة (عبد الله محمد عبد الرحمان ، 2005 ص 273-274) عنده وهي :

- **1- الفعل الاجتماعي التقليدي :** ويوجه هذا الفعل العادات والتقاليد والمعتقدات وهو فعل يتميز بالآلية والفاعل لا يدرك الهدف ولا القيمة المتعلقة بفعله فهو فعل غير عقلائي وغير إرادي فهو خاضع لحتمية العادات والتقاليد

- **2- الفعل الاجتماعي الوجداني الانفعالي العاطفي :** وهو فعل ينطلق من الضغط الانفعالي العاطفي فهو غريزي مرتبط بالمستوى البيولوجي والسيكولوجي للفرد وهو غير عقلائي .

3- الفعل الاجتماعي العقلاني بالنظر إلى القيمة: هو الفعل الذي يكون من خلال الاعتقاد بالقيم المطلقة فهو فعل عقلائي لأنه يتضمن استعمال حد أدنى من العقل لكن هذه العقلانية ليست مستمدة من خلال العمل على تحقيق هدف خارجي محدد لأنه يعتقد أن عدم الامتثال إلى قيمة اجتماعية سيجلب له العار من طرف المجتمع حتى ولو كانت هذه القيمة يدرك جيدا أنها ستضره .

4- الفعل الاجتماعي العقلاني : هو الفعل الذي يوجهه هدف معين والفاعل هنا يعمل على اختيار الوسائل بعناية تامة من أجل تحقيق هذا الهدف .

- فالنموذج المثالي هو بناء افتراضي يقوم به الباحث ليتمكن من خلاله في نهاية المطاف الوصول إلى الفهم التفسيري وإلى التفسير الذي يوصله إلى فهم أعمق من الفهم الأولي لأن الفهم القائم على التفسير هو فهم مؤطر من طرف الباحث بواسطة افتراضات النموذج المثالي نستطيع أن نخلص في النهاية إلى أن مضمون الفهم والتأويل عند ماكس فيبر يتمثل في العمل على الوصول إلى المعنى الذي يعطيه الفرد لفعله ، فدور الباحث في هذه الحالة يكمن في البحث عن المعنى الذي يقف وراء هذه الأفعال حسب ما يراه القائمين به ، أما الهدف من هذا الفهم بالنسبة للباحث يبقى عند ماكس فيبر غامضا نوعا ما ، بحيث يرى أن الهدف من الفعل هو الوصول إلى التفسير أي الوقوف وتحديد طبيعة الموجهات التي تؤطر معاني الفاعل وتوجه الفعل للحكم في النهاية على هذا الفعل على أنه عقلائي أو غير عقلائي حسب تصنيفات الفعل كما حددها في النموذج المثالي لموجهات الفعل .

- ففي اعتقادي أن الفعل العقلاني لا يتجدد فقط ، فالفاعل يسعى وراء تحقيق غاية أو هدف واضح واختيار الوسائل المناسبة من وجهة نظره هو بل لا بد أن يكون معيار الحكم على عقلانية الفعل من عدمه مرتبط بمدى قدرة الفرد على اختيار الوسائل وتحديد أهداف تحقق غايات أسمى من المنفعة الخاصة التي يمجدها النظام الرأسمالي والذي يعتبر ماكس فيبر من المنظرين له .

وعلى هذا الأساس سنتعرض إلى احد رواد علم الاجتماع المعاصرين الذين يرفضون هذا الطرح المعياري في الحكم على الفعل انطلاقا من ذاتية الفرد القائم به و هو عالم الاجتماع الفرنسي الان تورين **A Touraine** .

2 -الفعل والفهم التأويلي عند A Touraine توران : يعتبر **A-Touraine** احد رواد علماء الاجتماع المعاصرين الذين يأخذون الفعل الاجتماعي كوحدة تحليل أساسية في الدراسة السوسيولوجية لان نظريته للفعل تختلف عن نظرة كل من **Parsons** ونظرة **Max weber** له .

- فالفعل الاجتماعي عنده لا تؤطره الحتمية الاجتماعية كما هو الحال عند الوظيفيين بصفة عامة و **Parsons** بصفة خاصة و لا يحكم على الفعل الاجتماعي انطلاقا من نوايا الفاعلين وذهنياتهم كما هو الحال كذلك عند **Max weber** بل الفعل الاجتماعي عنده تؤطره وتوجهه موجهات اجتماعية وثقافية تاريخية وموضوعية وليست ظرفية وذاتية ، اذن ما هو مضمون الفعل الاجتماعي عنده ؟ وما هو محتوى الفهم لديه؟ و ما هو الهدف من الفهم التأويلي بالنسبة للباحث ؟ .

- يرى أن الأفعال الاجتماعية بصفة عامة لا توجهها المعاني الذاتية الخاصة كما هو الحال كما رأينا عند **Max weber** بان الأفعال في المجتمعات الحديثة و ما بعد الصناعية بالخصوص يوجهها نموذج ثقافي من المعاني التي تشكلت تاريخيا أو ما يطلق عليه **Le Model d'orientation significatif** فهذا (39; 37 PP 1965 **(A. Touraine .**

- النموذج الثقافي يتضمن معاني الحضارة الصناعية أو ما بعد الصناعية و يعطي للمجتمع الذي يتبنى ضمنا هذا النموذج - أي يصبح يشكل لديه قوة دافعة تحرك كل أفعاله وتفاعلاته وعلاقاته .

- وحكمه على الأشياء وتصنيف الأمور ويصبح لهذا المجتمع كذلك القدرة والكفاءة على إنتاج التاريخ أو ما يطلق عليه بالتاريخانية **L'historicité** و أن هذا المجتمع الذي تحكمه هذه التاريخانية يكون نموذج الثقافة أو ذاته التاريخية مكونات رئيسية وهي :
- 1- **المعنى الذي يعطيه المجتمع للعمل** ، حسب **Touraine** أن العمل يعتبر كموجه للفعل الاجتماعي في هذه المجتمعات التي تتميز بالقدرة والكفاءة التاريخية وذلك بما تتضمنه من معاني تجعل من الفرد في هذا المجتمع يعي نفسه بأنه صانع للتاريخ وليس مجرد كائن بشري موجود في التاريخ أو على هامش التاريخ بحيث يقول في هذا الصدد " إن العمل بكل امتياز هو فعل تاريخي فهو ليس بوضعية اجتماعية أو قصد ، بل هو نشاط طبيعي ليغير الإنسان بمحيطه ويجعل منه واعيا بأنه فاعل في التاريخ ويعمل بذلك على إنتاج التغيير وإنتاج التاريخ".
(A Touraine pp,38)
- 2 - **طبيعة روح المؤانسة** : العامل الثاني الذي يعطيه **Touraine** أهمية فيما يخص المكونات الأساسية الحاملة للمعاني الموجهة للأفعال الفردية والجماعية في المجتمعات الحديثة هو ما يطلق عليه المؤانسة والعشرة ويقصد بها العلاقة الاجتماعية فالعلاقة الاجتماعية حسبه لا تتضمن بذاتها ضوابط معيارية تحكم الأفعال الاجتماعية كما ترى الواقعية بمعنى ليست هي التي تلعب دور الموجه في حد ذاته بل هي نفسها أي العلاقة الاجتماعية خاضعة لموجهاً خارجة عنها والمتمثلة كما قلنا في الذات التاريخية في الحكم على أي علاقة .
- إذن لا بد أن ننطلق عن البحث على معنى موجه من طرف معاني الذات تاريخية أم لها موجهاً ضمنية أخرى -**الوعي بالفعل من أجل التغيير**: يرى **Touraine** إذا كانت المدرسة النفسية تربط الفعل بعوامل الحاجة البيولوجية الفيزيولوجية والنفسية والأنثروبولوجية تربط السلوك بمستوى التحضر الثقافي فان **Touraine** توران يعارض هذه الأطروحات البسيطة بالنسبة إليه .
- وعليه فان الفرد يوجه أفعاله الاجتماعية منطلق الوعي بالفعل من أجل تغيير الموجود أو تغيير الواقع المعاش. نستخلص من هذا كله أن مضمون الفعل عند **Touraine** يتمثل في الفعل الاجتماعي الذي تحكمه المعاني المتضمنة في الذات التاريخية أما محتوى الفهم لديه يعمل على البحث هل الفعل الاجتماعي سواء لدى الأفراد أو الجماعات أو العلاقات الاجتماعية أو مستوى الوعي موجهون بالمعاني المتضمنة كذلك في هذه الذات التاريخية للأفراد ؟ و هل أن أي فعل تعبيرية تقوم به الحركات الاجتماعية أو الفاعلين الاجتماعيين هو فعل من أجل تجسيد معاني متطلبات الذات التاريخية كذلك المنتجة للتقدم أو التطور أم منصرف لتحقيق معاني ذاتية شخصية أو تنظيمية أو مصالح جماعة معينة ...
- ومن هنا يتضح أن الهدف من الفهم هو إنتاج ونشر الوعي وكذلك التدخل لكون أن الباحث هو متقف يطلب منه نشر وتوزيع الوعي والفعل خصيصاً من أجل تحريك التاريخانية في المجتمع .
- 3-**الفهم والتأويل عند Habermas هابرماس** : ممثل التيار النقدي في الفلسفة والنظرية السوسيولوجية ، يرى أن الفعل الاجتماعي فعلاً توجهه المعاني الذاتية للفرد لكن هذه المعاني ليست منعزلة ومنفصلة عن السياق العام الخارجي والموضوعي الذي يعيش فيه هذا الفرد وبذلك يرى أن الباحث عليه أن لا يكتفي بفهم المعاني الذاتية للأفراد الذين هم موضوع بحثه بل عليه كذلك وفي نفس الوقت أن يعمل على فهم العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الموضوعية التي تؤثر أو تشكل هذه المعاني الذاتية ونتجت عن وعيها الحقيقي و أن هذا كله لا يمكن أن يتأتى ، إلا بفهم الذات الفاهمة لذاتها أي وعيها بذاتها ، وبالتالي فان الفهم عند **Habermas** يشمل ثلاث مستويات ، فهم الذات لذاتها ، فهم الذات للمعاني التي تحكم أفعال الأفراد الذين هم موضوع فهمنا والفهم الثالث هو فهم السياق الموضوعي الذي يؤثر معاني هؤلاء الأفراد ، لكن هذا الفهم ليس مجرد فهم من أجل الفهم كما رأينا عند **Dilthey** ، بل فهم تأويلي ، فهم من

أجل تحقيق الوعي الحقيقي والتخلص من الاغتراب والتبعية بحيث يقول في هذا الصدد " لربط التأويل بهدف البحث عن وجود أفضل وأحسن ومتطور نفترض أن الإنسان أو العقل الإنساني حر ، يمتلك وعيه بنفسه ويحدد مصيره بنفسه " (توم بوتومور تر، سعد هجرسي 2004) بالنسبة إليه أن هذا العقل الإنساني قد يكون مقيد بقيود طبيعية واجتماعية وثقافية وتكبل قدرته الابداعية وبالتالي فان التأويل عنده هو انتاج معاني نقدية أي نقد الايدولوجيا التي تبرر التبعية للقواعد والضوابط والتكنولوجيا الادائية أي نقد جميع أشكال الاستلاب وبالتالي ، فان موضوع الفهم هو فهم المعاني التي تنتج الاغتراب والتبعية هذا أولا ، ثانيا على الذات الفاهمة أن تعمل على إنتاج معاني مضادة ، تحطم وتبدد الوعي الزائف وترسخ الوعي الحقيقي الذي يحرر الإنسان من التبعية والسلبية . (ايان كريب ، ترجمة محمد حسين غلوم 1994) . وعليه نستطيع أن نستنتج بان الفهم في المرحلة الأولى المتمثلة في العلاقة بين الذات الفاهمة وموضوع الفهم يضع الباحث فيه مسافة بينه وبين الموضوع من اجل توخي الموضوعية والابتعاد عن ذوبان الباحث في هذا الموضوع وفي مرحلة التأويل أي مرحلة انتاج المعاني من طرف الباحث عليه أن يصوغ موضوع فهمه و فقط معانيه هو بذلك من اجل تأسيس فكر نقدي .

كما أن الهدف من الفهم التأويلي عند **Habermas** هو التفسير كذلك وهنا يتوافق مع **Max Weber** في أن التفسير لديه موضوعه يتمثل في شرح الأسباب والعوامل الموضوعية التي تكبل الفرد وتمنعه من الإبداع والتحرر من العوائق الثقافية والاجتماعية وحتى الطبيعية ، ان هو فهم تأويلي تفسيري .

4- الفهم التأويلي عند Antony Giddens انتوني جيننز : يعتبر **Giddens** أحد رواد علم الاجتماع المعاصرين والمجددين فيه و الذي له نظريته الخاصة في موضوع علم الاجتماع بحيث أن موضوع علم الاجتماع عنده ليس الظاهرة الاجتماعية ولا العلاقة الاجتماعية ولا الفعل الاجتماعي ولا النسق الاجتماعي بل الممارسة الاجتماعية لكن الممارسة الاجتماعية ليست تلك الممارسة المرتبطة بالبنية الاجتماعية كما هو الحال عند الماركسيين الكلاسيكيين أو التي هي مرتبطة بالوعي فالممارسة الاجتماعية بالنسبة إليه هي فعل و بناء في نفس الوقت لأن المجتمع لا يكمن في البنية كما يراه علماء الاجتماع الآخرين بل يرى أن المجتمع يتمثل في التشكل الاجتماعي فالتشكل أو الإبناء ليس ببنية و لا بفعل تحكمه معاني، بل هو ممارسة اجتماعية فالإبناء والممارسة الاجتماعية شيء واحد بحيث يقول بهذا الصدد أن الممارسات الاجتماعية هي " نقطة التماس بين الفاعلين والبنى الاجتماعية" **Macmillan ; Londres ; 1977 P (117)**. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ماهي العوامل التي تنتج و تعيد انتاج هذه الممارسات الاجتماعية فحسب **Antony Giddens** المجتمع يكمن في القواعد التي تنتج من طرف الأفراد المتفاعلين في الزمان و المكان وتحكم أفعالهم و تربط تفاعلاتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض، فالقواعد الاجتماعية اذن هي منتجة و منتجة وبالتالي ، فان التفاعلات والأفعال و حتى هذه القواعد الاجتماعية ذاتها ليست مشروطة بحتمية اجتماعية معينة بل كل منها تشكله و ابناءؤه مرتبط بعوائق و موارد اللحظة الزمنية والظروف المكانية .

هذا عن الفعل أو الممارسة الاجتماعية لديه ، أما فيما يخص الفهم أي ماذا نفهم بالنسبة إليه يظهر جليا الآن أن موضوع الفهم يتمثل في الوصول الى القواعد التي ينتجها الأفراد المتفاعلين وفي نفس الوقت تنتج أفعالهم وتفاعلاتهم لكن هذا لا يكفي بل لابد من معيار أو مقياس يمكن الباحث أو الذات الفاهمة أن تحكم أو تصنف به هذه الممارسة للوصول إلى التأويل ثم التفسير و لذلك وضع **Giddens** معبرين أو ميزتين يميز بهما حالات أو مستويات الفعل عند الفاعلين و هما : (**Jean Nizet ; 2007 PP 20-22**)

1- الكفاءة التفكيرية التي تعطي و تمكن الفاعل من القيام بأفعاله و تفاعلاته بسلطة وبرقابة تامة عليها من طرفه بمعنى أن الفاعل يدرك و يفهم الظروف التي يتحرك فيها أو تحيط به وعليه يضع الأهداف والغايات المناسبة أولا و تعمل هي على تجسيدها و هو متحكم و مسير لهذه الظروف ثانيا .

2- الميزة الثانية السلطة أو القدرة على القيام بالفعل أو بالممارسة أي القدرة على تجاوز العوائق التي تنتجها له البنية التفاعلية و السلطة على استغلال أو استعمال الموارد التي هي متاحة له من أجل تحقيق أو الوصول إلى الأهداف و الغايات التي وضعها.

فانطلاقاً من هذين الميزتين يميز **Giddens** ثلاث مستويات عند الفاعل عند القيام بممارساته الاجتماعية و هي :

1- الفعل أو الممارسة وليدة الوعي الممارساتي ؟

2- الفعل أو الممارسة وليدة الوعي العقلاني.

3- الفعل أو الممارسة اللاعقلانية.

و من الواضح أن الفعل وليد الوعي الممارساتي هو الأهم بالنسبة **Giddens** لأنه وليد القدرة والكفاءة التفكيرية. بعدما قمنا بتحديد مضمون الفهم عند **Giddens** والمتمثل كما قلنا فهذا الوصول القواعد الاجتماعية التي ينتجها الفاعلين وفي نفس الوقت فهم أفعالهم و تفاعلاتهم سنعمل على تحديد آلية التأويل أو الهرمونطقيا لديه.

يرى **Giddens** أن الوقائع الإنسانية لا يمكن ملاحظتها من الخارج كما هو الحال في العلوم الطبيعية بحيث يقوم في

هذا الصدد "كل العلوم الاجتماعية هي بدون شك علوم هي هرمنوطيقية". (**Antony Giddens ;1976; P13**)

إلا أن الآلية أو العلمية التأويلية مزدوجة بمعنى هناك التأويلات التي تعطيها الذات الفاهمة لأفعال وتفاعلات المبحوثين بصفتهم موضوع للبحث وهناك تأويلات التي يقدمها كذلك المبحوثين بصفتهم أفراد لهم قدرتهم التفكيرية للوضعيات التي يعيشون فيها أي العوائق و الموارد التي تتكون منها وضعياتهم التفاعلية أو التي تحكم أفعالهم وعليه ففي العلوم الاجتماعية هناك آلية تأويلية تبادلية بين الباحث والمبحوث و بالتالي التأويل هنا ليس تأويل لباحث لوحده و لا تأويل المبحوث لوحده كذلك بل إن الآلية التأويلية تتمثل في نقطة التقاطع و التلاقي و التبادل و التوافق بين التأويلين هذا عن الفهم و التأويل عنده بمعنى هل الهدف من الفهم إلا من أجل الفهم فقط أم أن الفهم من أجل إنتاج معاني تقدير تبدد الوعي الزائف؟ كما هو الحال عند النقديون كما رأينا.

فالنسبة إليه و باختصار أن العلوم الاجتماعية ليست علوم عيئية و بدون جدوى بل علوم لها تأثير كبير في المجتمع لكن تأثيرها لا يظهر جلياً كما هو الحال في العلوم التقنية و التكنولوجية كما أنها ليست علوم تقدير بل إن اكتشافاتها العلمية التي تجلب الاهتمام سرعان ما تتبع في الحياة اليومية وفي أفعال الناس و تفاعلاتهم و تصبح مبدأ معترف به و مشترك في الحياة اليومية للمجتمع فهي إذن علوم تنويرية بمعنى أن المعاني المنتجة من طرف المثقف أو المثقفين سرعان ما تنتشر و تصبح مادة مشكلة لقواعد التفاعل اليومي بين المتفاعلين و تدخل في ممارساتهم اليومية .

5- الفهم و التأويل في المقاربة الكلينيكية : تعتبر المقاربة الكلينيكية إحدى المقاربات السوسيولوجية التي بدأت تفرض نفسها في الحقل السوسيولوجي و التي ظهرت في بداية التسعينات على يد عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر **Vincent de Gaulejac** الذي كان مدير مخبر التغيير الاجتماعي .

فهذه المقاربة ترى نفسها أنها تنتمي إلى الاتجاه الفكري لعلم الاجتماع الفهم بحيث يقول روادها أن علم الاجتماع الكلينيكي " ينتمي كلية إلى اتجاه علم الاجتماع الفهم الذي يعتبر ماكس فيبر رائده". (**Vincent de Gaulejac et autres ;2012 ;108**)

و بالتالي أن موضوع علم الاجتماع ووحدة التحليل لديهم هو المعنى لأنه بالنسبة لهذه المقاربة أن الاشكالية لا تكمن في موضوع أو وحدة التحليل علم الاجتماع الفهم ، بل أن الإشكالية و البرهان لديهم هو منهجي بمعنى كيف يلج الباحث وبطريقة علمية إلى المعنى الذي يحكم السلوكات الإنسانية لكن هذه العملية تكون في قطيعة تامة مع المنهجية الوضعية **August Comte** والمنهجية الكمية لـ **Durkeim** و هذا يتطلب الافتراضات البديهية التالية :

- الفرضية الأولى اعتبار المعنى هو مركز الدراسة السوسولوجية وهذا يتطلب الابتعاد عن فكرة أن المعرفة العلمية لا تتطور إلا بإنتاج قوانين مثل قوانين علوم الطبيعة .
 - الفرضية الثانية اعتبار الفهم مركز العملية البحثية (Vincent de Gaulejac et autres ;2012, P111) ، كذلك هذا يتطلب الابتعاد أو القطيعة مع النموذج العلمي الوضعي القائم على الافتراض الذي مؤداه أن الواقع يتمظهر في بنى ثابتة مستقلة على الملاحظ 'الباحث' لكنها تبقى قابلة لتحرياته العلمية .
 - أي باختصار الابتعاد عن افتراض شيئية الظاهرة ، إذن المقاربة الكلينيكية تقوم على افتراض أن الباحث يقاسم المبحوثين لنفس الواقع الاجتماعي بكل ما يحمله من رموز و الباحث هنا يتطلب منه الوصول إلى المعاني التي يعطيها المبحوثين لهذه الرموز، فالسياق الاجتماعي العام هو السياق الموضوعي و السياق الذاتي الذي يختزنه الفرد فهو سياق فردي جزئي وبالتالي هذه المقاربة جاءت لتقيم التفاضل بين الفردي الذاتي السيكولوجي وبين البعد التاريخي ، لكن تجزرها النظري يبقى مرتبط بسوسولوجية الفهم عند Max Weber كما قلنا.
- متبينة الاجابات الابستمولوجية التي قدمها للأسئلة التالية وهي :

1- كيف نربط أو نجمع بين الفهم و الموضوعية ؟ (Vincent de Gaulejac et autres ;2012, P110)

2- كيف يلج الباحث إلى معاني المبحوثين سوسولوجيا و يبقى في قطيعة ابستمولوجية مع النظرية السيكولوجية ؟.

3- كيف نتناول الذاتية و نبقي في نفس الوقت موضوعيين ؟

4- كيف نتناول الأفراد أو الفرد بالدراسة السوسولوجية وفي نفس الوقت نتناول الشيء الاجتماعي؟

نلاحظ أن الأسئلة الأربعة السابقة، تتبلور كلها في نقطة واحدة وهي أن الموضوعية هي الشرط الأساسي **للعلمية** فإذا كان الأمر كذلك فأنصار سوسولوجيا الفهم يرون انه لا بد من اشتراط الموضوعية ليس في موضوع الدراسة أو موضوع الفهم (شيئية الظاهرة مثلا) بل لا بد من نقلها واشتراطها في الذات العارفة وهنا يصبح الموضوع والمصادقية العلمية حسب Max Weber مرتبطة و متعلقة بالطريقة المنهجية وتكمن على وجه الخصوص بتوخي الدقة والحذر . وعلى هذا الأساس فان المقاربة الكلينيكية ركزت كل مجهوداتها العلمية و البحثية على الجانب المنهجي سواء فيما يتعلق بالفهم أو بالتأويل :

فيما يتعلق بالفهم فإذا كان موضوع الفهم لديها يبقى دائما المعاني التي تحرك أفعال الأفراد إلا أن مفهوم المعنى لديها يختلف عن مفهوم المعنى الذي يعتمده Max Weber ، فالمعنى عند هذا الأخير هو تراكمي تاريخي مخزون لدى الفرد وعلى الباحث أن يبحث عن المعنى المخزون لدى هذا الفرد ، أما بالنسبة لهذه المقاربة فان المعنى لا يوجد مسبقا او هو حاضر مسبقا لدى الفرد، كما أن المعنى كذلك ليس بممارسة وليدة عملية التشكل والإبناء انطلاقا من القاعدة التي تتشكل بفعل التفاعل الاجتماعي و تصبح مستقلة كما رأينا ، بل أن المعنى هو وليد عملية حوارية بين الباحث و المبحوث فهو موقف مشترك بينهما ووليد عملية مواقف منتجة أثناء عملية المقابلة فهو إذن وليد اللحظة البحثية و بالتوافق و من اجل الوصول إلى هذا المعنى التوافقي فان هذه المقاربة تستعمل كل الأدوات سواء الأدوات المنهجية السوسولوجية أو منهجية التحليل النفسي من اجل قراءة الجانب السيكولوجي للمبحوث، هذا فيما يتعلق بتوخي الدقة والحذر كما يتعلق بوحدة التحليل الأساسية و كيفية الوصول إليها .

أما فيما يتعلق بالتأويل ترى هذه المقاربة أن عملية التأويل لديها مشكلة من ثلاث فترات مترابطة مترامنة .

- **الفترة الأولى** : تتمثل كما رأينا في المجابهة مع المبحوث من أجل إنتاج المعنى المشترك أو المعنى التداولي وبالتالي يصبح هو المعنى الموضوعي وليس الذاتي لأن إنتاج و استخراج المعنى بهذا الشكل لم يعد معنى ذاتي للمبحوث ولا معنى ذاتي للباحث بل يصبح معنى آخر يتجاوز كلاهما

- **الفترة التأويلية الثانية:** المتعلقة بتوخي الدقة و الحذر بحيث على الباحث أن لا ينقل ويصوغ هذا المعنى الموضوعي مباشرة بالمفاهيم النظرية الجاهزة بل عليه أن لا يتسرع و يبقى فترة معينة في ذهاب و إياب بين التجربة و النظرية بين التصور الإدراكي للواقع الميداني والسياق الاجتماعي من جهة و المفهوم من جهة ثانية .
- **الفترة التأويلية الثالثة :** على الباحث أن ينقل تأويلاته الذاتية والمتوصل إليها بالطرق الموضوعية على زملائه و عرض هذه التأويلات عليهم ومناقشتها معهم للوصول إلى تأويلات مشتركة معهم و بالتالي تصبح هذه الأخيرة ، تأويلات موضوعية متجاوزة كذلك لتأويلاته الذاتية وبهذه الطريقة تصبح المعرفة لها صيغة المصادقية العلمية حسب هذه المقاربة .

الخاتمة : انطلاقا مما رأيناه سابقا فان المعرفة السوسولوجية هي عملية بناء متكامل ، بحيث تتقاطع فيها الأقطاب الثلاثة القطب الاستمولوجي والقطب النظري و القطب المنهجي و كل منها يؤدي دور و المعرفة السوسولوجية لديها خصوصيتها التي ترتبط بطبيعة الموضوع الذي تعالجه و هو الإنسان باعتبار ان المعرفة في ذاتية الانسان و هي ليست موضوعية او خارجية بل هي موجودة في ذاتيته و هذا يتطلب منهجية خاصة تقوم على القطيعة التامة مع المناهج الكمية و ذلك من خلال استخدام المنهج الكيفي القائم على الفهم و التأويل و استعمال الأدوات التي تمكننا من غرف المعرفة من ذاتية المبحوث لأننا نعتقد كباحثين كلما نغوص في ذاتية المبحوث نحقق الموضوعية و نصل الى العلمية في المعرفة السوسولوجية ، لان المعاني و التمثلات لا يمكن أن نكممها و لكن يمكننا فهمها و تأويلها باستخدام الطرق و الادوات المناسبة لمناهج التي نعتمدها كباحثين وهي الطرق و المناهج التي سوف نتطرق إليها في الجزء الثاني من المقال المعنون " الفهم و التأويل في مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية " .

الإحالات والمراجع :

- 1- احمد زايد (1991) حولية كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية ، العدد الرابع عشر ، جامعة قطر
- 2- احمد زايد (1991) الهرمينوطيقا و اشكاليات التأويل و الفهم في العلوم الاجتماعية
- 3- ايان كريب (1994) ترجمة محمد حسين غلوم النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب الكويت
- 4- بن عيسى محمد المهدي (2006) ثقافة المؤسسة ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر 2 تحت اشراف خليفة بوزيرة
- 5- توم بوتومور (2004) ترجمة سعد هجرسي مدرسة فرانكفورت ، دار اويا ، الطبعة الثانية طرابلس الجماهيرية العظمى
- 6- عبد الله محمد عبد الرحمان ، (2005) النظرية في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية

7-A Touraine ; (1965) Sociologie de l'action ; paris ; Edition du seuil, paris

8-Antony Giddens ; (1976) New Rules of sociological Method , Hut Hinson ,Londre

9-Central problems in social theory ; (1977) Macmillan ; Londre

10- Jean Nizet ; (2007) La sociologie de Anthony Giddens

Ed ; La découverte , paris

11-Gonthier Frédéric,(2004) « Weber et la notion de « compréhension » . », Cahiers internationaux de sociologie 1 (n° 116) , p. 35-54

12-RL: www.cairn.info/revue-cahiers-internationaux-de-sociologie-2004-1-page-35.htm. DOI 10.3917/cis.116.0035

13-La connaissance scientifique et son processus selon Gaston Bachelard (2003 13-Guylain Mabilia Nlenzo

14—Max weber [1922], Economie et société trad. Françe., Paris, Plon, 1971 ; rééd. Presses Pocket, « Agora », vol. 1, p. 28.274

15-Vincent de Gaulejac et autres (2012) Sociologie clinique ,Enjeux théoriques et Méthodologiques Ed ères Toulouse ,France